الفكر السياسي في فلسفة الفارابي

د. ناجي التكريتي

كلية الآداب / جامعة بغداد

يبدأ الفارابي فلسفته السياسية بالقول أن الانسان محتاج الى الاخرين ، لانه لا يستطيع أن يبلغ افضل كمالاته بالاعتماد على نفسه فقط ،أن الانسان برأي الفارابي اجتماعي بالطبع ، او كما يعبر هو بالقول ، أن الانسان مفطور على الحاجة في حياته الى الاخرين.

الانسان قادر على عمل معين فقط، وهذا بطبيعة الحال لا يوصله الى الكمال ، أن كل فرد في المجتمع هو عضو له ما للآخرين ، أن كل واحد يحتاج الى كل واحد بشيء معين يعمله ويقدمه لعموم المجتمع.

وهكذا يكون التعاون بين الأفراد بحكم الفطرة الطبيعية التي كونت المجتمعات بهدف أن ينال الكمال كل فرد من افراد المجتمع ، أن الجماعة في كل مكان معين ، أول تنظيم للافراد في الاجتماع مع بعضهم لتحقيق الراحة والسعادة والامان. بعد هذا تكون الاجتماعات الإنسانية التي تنشر في المعمورة من الأرض، بهدف البلوغ إلى الكمال .

يرى الفارابي ،أن الخير الأفضل والكمال الأقصى يحصل في المدينة . أن المدينة عنده تمثل المجتمع الكامل أن السكة هي جزء من المحلة ، والمحلة جزء من المدينة ، كما أن القرية هي خادمة للمدينة . المهم في هذا الشأن أن الأفراد يتكاملون في مجتمع المدينة .

يعتقد الفارابي أن الإنسان ينال الخير بالارادة والاختيار ، كما أنه يؤمن في الوقت نفسه ،أن الشرور تكون بالارادة والاختيار . من هنا ، نجده يحث على التعاون لبلوغ الغايات الحميدة ، والتي تحقق السعادة للمجتمع ، أن المدينة التي يتعاون افرادها في عمل الخير هي المدينة الفاضلة ، أن الاجتماع الذي يتعاون به كل نيل السعادة ، هو الاجتماع الفاضل.

أن سعادة المجتمعات تتفاضل بثلاثة أنحاء: بالنوع والكمية والكيفية ، أن تفاضل الصنائع بالنوع، هو أن تكون صناعات مختلفة بالنوع، ولكن احداها أفضل من الاخرى ، مثل الحياكة وصناعة العطر وصناعة الكناسة ، ومثل صناعة الرقص وصناعة الفقه ، ومثل الحكمة والخطابة ، أما الصنائع التي تتفاعل بالكمية ، مثل أن يكون كتابان ، علم احدهما من اجزاء صناعة الكتابة اكثر . صناعة الكتابة تلتئم باجتماع علم شيء من اللغة وشيء من الخطابة وشيء من جودة الخط وشيء من الحساب . أن التفاضل يكون، بأن بعض الكتاب يكون قد حصل علي جودة الخط وشيء الحساب، وبعضهم الآخر قد احتوى جودة الخط وشيء من الخطابة، وقسم ثالث قد حصل على اللغة والخطابة وجودة الخط ، وقسم رابع قد سيطر على جميع عناصر صناعة الكتابة، أما التفاضل في الكيفية ، هو أن يكون اثنان قد حصلا من اجزاء الكتابة على اشياء باعيانها ، على أن احدهما يكون اقوى فيما أحتوى عليه ويكون اكثر دراية ايضاً.

وهكذا فأن أفعال اهل المدن ، اذا كانت فاضلة اكسبتهم هيئات نفسية فاضلة، واذا كانت رديئة اكسبتهم هيئات نفسية رديئة، يبدو لي هنا ، أن الفارابي يؤمن بالممارسة ، أن الممارسة عنده ترفع من شأن العمل الصالح درجات كلما واصل الإنسان على الرياضة و التمرين ، وتحط من شأنه بالممارسة ايضاً.

أنه يشير في هذا الشأن ، الى الافعال والصناعات . أن الأفعال – برأي الفارابي – تكسب الانسان هيئات عامة بحسب ما تكون فاضلة أو سيئة. الإنسان

كلما أزداد في عمل الفضيل ازداد فضلاً ، واذا ما واظب على الأفعال السيئة ، ازدادت هيئته النفسانية نقصاً.

أن الذين يمارسون عمل الفضيلة يرتقون في درجات الكمال ، اما الذين ينحدرون في الاعمال السيئة، فأنهم يصيرون مرضى في نفوسهم . انهم يكونون الشبه بمرضى الابدان. أن مرض الابدان يفسد مزاجهم ، فلا يتلذون بالطعوم اللذيذة، كذلك هو شأن مرضى النفوس فانهم يستلذون بالافعال الرديئة ، ويتاذون بالاشياء الجميلة الفاضلة.

يرى الفارابي ، أن هناك اشياء مشتركة، ينبغي أن يعملها جميع اهل المدينة الفاضلة ، أول هذه الاشياء ، معرفة السبب الاول وجميع ما يوصف به ، ثم الاشياء المفارقة للمادة ، وما يوصف كل واحد منها بما يخصه من الصفات والمرتبة ، الى أن تنتهي من المفارقة الى العقل الفعال.

بعد هذا ، يطلب الفارابي من اهل المدينة الفاضلة معرفة الجواهر السماوية، وما يوصف به كل واحد منها ، ثم معرفة الاجسام الطبيعية التي تحتها، وكيف تتكون وتفسد. بعد ذلك ، ينبغي معرفة حقيقة كون الانسان ، وكيف تحدث قوى النفس ، وكيف يفضي عليها العقل الفعال بالضوء، حتى تحصل المعقولات الاول ، وتكون الارادة والاختيار ، ثم معرفة الرئيس الاول ، وكيف يكون الوحي ، ثم الرؤساء الذين يخلفونه ، ومعرفة المدينة الفاضلة واهلها ، والسعادة التي تصير اليها نفوسهم. في الوقت نفسه، ينبغي عليهم معرفة المدن المضادة للمدن الفاضلة وكيف تؤول انفسهم بعد الموت ، وان بعضهم الى الشقاء وبعضهم الى العدم.

يطلب الفارابي ، اهل المدينة الفاضلة ايضاً، أن يعرفوا احوال الامم المضادة لها. أنه يقول ، أن ذلك يتم بوجهين ، فاما أن ترتسم في نفوسهم كما هي موجودة، واما أن ترتسم فيهم بالمناسبة والتمثيل ، وذلك أن يحصل في

نفوسهم مثالاتها التي تحاكيها.

أن حكماء المدينة الفاضلة ، هم الذين يعرفون هذه الاشياء ببراهين وبصائر أنفسهم. اما الذين يلون الحكماء بالمرتبة، فأنهم يعرفون ذلك باتباع رأي الحكماء والثقة بهم وتصديق آراءهم. أما الباقون منهم فيعرفونهما بالمثالات التي تحاكيبها.

لاشك أن معرفة الحكماؤ افضل ، لانهم يدركون الحقائق بعقولهم مباشرة. يلي ذلك بالأهمية ، الذي يعرفون الحقائق بالمثالات التي تحاكيها ، أن بعضهم يعرفونها بمثالات قريبة منها ، وبعضهم بمثالات ابعد من تلك ، وبعضهم بمثالات بعيدة جداً.

المهم في هذا الشأن ، أن معرفة الحكماء لا تقبل التزييف ، كما أن من وصل الى مرتبة المقلدين للحكماء ، يصل الى درجة معينة والوقوف على معرفة الحق . اما الباقون منهم فيعرفونها بالمثالات التي تحاكيها.

لاشك أن معرفة الحكماء افضل، لانهم يدركون الحقائق بعقولهم مباشرة . يلي ذلك بالاهمية ،الذين يعرفون الحقائق بالمثالات التي تحاكيها. أن بعضهم يعرفونها بمثالات قريبة منها ، وبعضهم بمثالات ابعد من تلك ، وبعضهم بمثالات بعيدة جداً.

المهم في هذا الشأن ، أن معرفة الحكماء لا تقبل التزييف ، كما أن من وصل الى مرتبة المقلدين للحكماء، يصل الى درجة معينة من الوقوف عن معرفة الحق . أما الذين لا يقتنعون. وفي الوقت نفسه لهم تشوق الى الحكمة ، كانوا في طريقهم الى علمها ، اما الصنف الذين يهدفون الى التمتع باللذة وحب الجاه والمال ، ويرون أن قوانين المدينة الفاضلة تمنعهم من ذلك ، فانهم يعمدون الى تزييف آراء المدينة الفاضلة ، أن التنزيف يكون بوجهين ، اما بالعناد والمكابرة أو بالمغالطة والتمويه. أما الصنف الآخر ، منهم من سيئي الفهم ، لانهم يتخيلون

الحق على غير ما هو عليه، فيفهمونه على وفق تصورهم ، حتى انهم يتصورونه أنه لاحق اصلاً . انهم اكثر من ذلك يظنون أن الذي يرد الى الحق مغرور ، وأن الذي يقال فيه أنه مرشد الى الحق ، هو مخادع مموه .

الفارابي يعطي اهمية كبيرة لرئيس المدينة ، الى درجة انه يقول أن آراء وافعال الملة ، هي مقدرة مقيدة بشرائط يرسمها لهم رئيسهم الاول . الفارابي يقول أن الجمع – وهو يقصد المجتمع – ربما كان عشيرة، وربما كان مدينة أو صعقاً ، وربما كان أمة عظيمة ، كان أمماً كثيرة .

لاشك ان الفارابي ، يقصد بالأمة العظيمة ، الأمة الكبيرة المترامية الاطراف ، وهو يقصد ضمنياً ، الآمة الإسلامية ، التي كانت في زمنه تشكل الدولة العربية الاسلامية التي تمتد حدودها من الأندلس الى الصين، اما المجتمع الذي يكون اممًا كثيرة ، وهو يقصد المجتمع الإنساني . الفارابي تجاوز حدود المجتمعات المحلية ، مهما كانت كبيرة ، والقول بالمجتمع الإنساني الواحد ، الذي يسكن على سطح المعمورة.

يسند الفارابي خيرات الملة وشروطها الى رئيس المدينة ، انه يقول صراحة أن الرئيس الاول أن كان فاضلاً وكانت رئاسة فاضلة في الحقيقة ، فأنه انما يلتمس بما يرسم من ذلك أن ينال هو وكل من تحت رئاسته ، ينالون السعادة القصوى ، التي هي في الحقيقة سعادة، وتكون تلك الملة ملة فاضلة ، اما اذا كان الرئيس جاهلاً وكانت رئاسته جاهلية ، فانه انما يلتمس بما يرسمه من ذلك ما أن ينال هو بهم خيراً من خيرات الجاهلية ، أما الخير الضروري الذي هو الصحة والسلامة واليسار واللذة و الكرامة والجلال، فهو يفوز بذلك الخير ويسعد به دونهم.

الفارابي يحلل طبيعة الرئاسة الجاهلية، ويغور الى اعماق الرئيس الجاهل محللاً دارساً، فينتهي في الرأي، الى أن هذا الرئيس يجعل من تحت

رئاسته آلات يستعملهم في أن يصل بهم الى غرضه ويستديمة ، وأما أن يلتمس بذلك ، أن ينال ذلك الخير دونهم جميعاً.

يقرر الفارابي، أن رئاسة الجاهلية رئاسة ضلالة ، أن من نباهة الفارابي في هذا الشأن ، ومدى تعمقه وفهمه لهذا النوع من حكام الدول ، انه يدرك ، أن رئيس الجاهلية يظن بنفسه الفضيلة والحكمة، كما يظن به ويعتقد فيه ذلك ، من هم تحت رئاسته – على الرغم من انه ليس كذلك – وان السبب المباشر في هذا الرأي من لدن اعوانه، لانهم مع رئيسهم ، هم الذين ينالون السعادة القصوى ويتمتعون بالخير العميم .

يتطرق الفارابي وصف الرئيس الأول الفاضل، ويصفه من وجهة نظر اسلامية، كأنه يعمل وفق وحي يوحى اليه، أو قوة عقلية تستند الى الوحي . يقول الفارابي ، أن الرئيس الاول الفاضل ، تكون مهمته ملكية مقرونة بوحي من الله اليه ،أن مثل هذا الرئيس ، يقدر الافعال والاراء التي في الملة الفاضلة بالوحي ، وذلك يتم باحد وجهين أو بكليهما ،أحدهما أن توحي اليه هذه كلها مقدرة ، والثاني أن يقدرها هو بالقوة التي استفادها عن الوحي والموحي تعالى ، حتى تكشفت له بها الشرائط التي بها يقدر الاراء والافعال الفاضلة ، وان يكون بعضها بالوجه الاول وبعضها بالوجه الثاني . ويفسر الفارابي بعد ذلك رأيه ويوضحه ، حين يضيف أنه قد تبين في العلم النظري ، كيف يكون وحي الله تعالى إلى الانسان الذي يوحي اليه وكيف تحصل في الانسان ، القوة عن الوحي والموحي .

أن الاراء التي في الملة الفاضلة ، منها آراء في اشياء نظرية وآراء إرادية. الاراء النظرية ، ما يوصف الله تعالى به ، ثم ما يوصف به الروحانيون ومراتبهم في انفسهم ومنازلهم من الله تعالى ، وما فعل كل واحد منهم ، ثم كون العالم وما يوصف به العالم واجزاؤه ومراتب اجزائه، وكيفية ارتباط الاشياء التي

يحويها العالم بعضها ببعض وانتظامها ، وان كل ما يجري فيها عدل لاجور فيه، وكيف نسبة كل واحد منها الى الله تعالى والى الرواحنيين ، ثم أن توصف النبوة ما هي ، والوحي كيف هو وكيف يكون ، ثم ما يوصف به الموت والحياة الاخرة، والسعادة التي يصير اليها الافاضل والابرار ، والشقاء الذي يصير اليه الاراذل والفجار في الحياة الاخرة.

أما الضرب الثاني ، فهو ما يوصف به الانبياء والملوك الافاضل والرؤساء الابرار وائمة الهدى والحق كما يوصف به الملوك الاراذال والروساء الفجار المتسلطون من اهل الجاهلية وائمة الضلال الذين كانوا في الزمن السالف، واقتصاص ما شتركوا فيه وما اختص به كل واحد من افعال الشر ،وما آلت اليه انفسهم وانفس من انقاد لهم واقتدى بهم من المدن والامم في الاخرة.

كما أن من الضرب الثاني ، ما يوصف به المعاصرون في الزمن الحاضر من الملوك الأفاضل والأبرار ، وأئمة الحق ؛ وذكر ما شاركوا فيه من تقدمهم وما اختص به هؤلاء من أفعال الخير ، في الوقت نفسه ، يوصف به ايضاً الرؤساء فيه من أفعال الشر ، وما تؤول أليه أنفسهم في الآخرة.

يؤكد الفارابي ، على اهل الملة الفاضلة أن يعظموا الله والانبياء بالافعال والاقاويل ، ثم يعظموا الملوك الافاضل والرؤساء الابرار ، وائمة الهدى الذين كانوا فيما سلف ، كما انهم يمدحون الملوك والرؤساؤ الابرار المعاصرين لهم . في الوقت نفسه ، يشيرون باستنكار واستهجان، الى اعمال الملوك والرؤساء الفجار وائمة الضلال ، السابقين منهم والذين يعاصرونهم ايضاً . بعد هذا ، ينبغي تقويم الافعال الانسانية في المجتمع وتقدير المعاملات ، فيما ينبغي أن يعمله الانسان بنفسه، وما ينبغي أن يعامل به غيره ، وتقويم هذه الافعال وفقاً لقانون العدل.

يربط الفارابي الملة بالدين ، حتى انه يقول انهما اسمان مترادفان ،وفي

الوقت نفسه ، يرتبط الملة بالفلسفة . أن الاراء المقدرة التـي فـي الملـة الفاضلـة اما حق واما مثال الحق ، أن الحق بعامة ، ما تيقن بـه الانسـان أمـا بنفسـه بعلـم اول ، وأما ببرهان .

يشبه الفارابي الملـة الفاضلـة بالفلسـفة ، ثـم يفسـر ذلـك قـائلاً ، كمـا أن الفلسفة منها نظرية ومنها عملية ، فالنظرية الفكرية هي التي اذا علمها الانسـان لم يستطيع أن يعملها ، اما الفلسفة العملية ، فهي التي اذا علمهـا الانسـان امكنـه أن يعملها .

أن الجزء العملي من الفلسفة اذن هو الذي يعطـي اسباب الشـرائط التـي يقدر بها الافعال لاجل أي شيء شرطت ، واي غرض قصد أن ينال بتلك الشرائط. لما كان علم الشيء هو العلم البرهاني ، فهـذا الجـزء مـن الفلسـفة مـا هـو الـذي يعطي برهان الافعال المقدرة التي في الملة الفاضلة. الفلسفة اذن هي التي تعطـي براهين ما تحتوي عليه الملة الفاضلة.

أن الرئيس الاول للمدينـة قد يلحقـه ، أو يعرض لـه مـا يمنعـه أن يقـدر الافعال كلها ويستوفيها ، فتبقى افعال كثيرة لا يقدرهـا لاسـباب تعـرض ، امـا لان المنية تخترمه وتعاجله قبل أن يأتي عل جميعها ، وأما لاشغال اخـرى تعوقـه مـن حروب وغيرها ، واما لانه لايقدر على فعل اشياء قد تمنعه عوارض كل اتمامها.

أن الرئيس الاول يبتدئ في أن يشرع ويقدر الافعال التي هـي اعظـم قـوة واكثر نفعاً واشد غنى وجدوى في أن تلتئم بهـا المدينـة وترتبـط وينتظـم امرهـا ، انه يشرع في تلك وحدها ويـترك الباقيـة ، أمـا لوقـت فراغـه لهـا ، أو لان غـيره يمكنه أن يستخرجها ، وأما في زمانه أو بعده، اذا حذا حذوه .

اذا خلف الرئيس الاول بعد وفاته من هو مثله فـي جميـع الاحـوال ، كـان هذا اقدر على افعال لم يستطيع أن ينجزها الاول . اكثر من هذه ، فأن الثاني هـذا قادر أن يعمل ما هو اصلح لزمانه، أن الزمن يتغير ولكل عصر متطلباته الخاصـة

به . الثاني اذن يعمل ما يراه موافقاً للوقت الذي يحكم فيه ، وهكذا هو الحال ، اذا خلف الثاني رئيس ثالث مثل سابقيه في جميع احواله. اذا جاء دور الرابع وكان مثل اسلافه ، فانه يضيف ما هو صالح لاهل المدينة بحسب الزمن الذي يعيش فيه .

يستطرد الفارابي، بعد ذلك، كانه يصف حالة الدولة الاسلامية في عصرها الاول حين يقول اذا معنى واجد من هؤلاء الائمة الابرار الذين هم الملوك في الحقيقة ، ولم يخلفه من هو مثله في جميع الاحوال ، احتيج في كل ما يعمل في المدن التي تحت رئاسة من تقدم، وان يحذو حذوه في العمل ، ويجيز الفارابي للرئيس الذي يجد نفسه قد جاء في اثر ملوك صالحين ، فلا باس أن يجتهد ويستنبط ويستخرج عن الاشياء التي سار عليها من سبقه من الرؤساء الاخيار . كما انه لاباس أن يضطر الى صناعة الفقه بحسب واضع الشريعة .

وان الهدف من العلم ، المدني كما يرى الفارابي – هو السعادة ، يبدو أن الفارابي قد أدرك أن السعادة الحقة التي يطلبها الانسان، أو السعادة القصوى كما يعملها لا تتحقق في هذه الحياة ، بل انها تحقق في الحياة. الاخرة ولهذا اطلق عليها السعادة القصوى. أن ما يتحقق في هذه الحياة مثل الثروة واللذة والكرامة والقنية ليست سعادة، بل هي اقرب الى ما يطلق عليها الناس اسم خيرات.

مع ذلك ، فأن الخيرات لا يمكن ، أن توجد كلها معاً في انسان واحد ، ولا أن يستعملها انسان واحد، بعيداً عن الجماعة، أن التعاون بين الجماعة اذن ضروري للحصول على الخيرات والافادة منها. أن الجماعة هي وحدها القادرة على تحقيق الخير . مثال ذلك في حرفة الفلاحة فأن الانسان وحده غير قادر على القيام بمتطلبات الفلاح من دون مشاركة الآخرين له، وتزويده بما يحتاج لعملية الزراعة ، أن الفلاح يحتاج الى النجار ليعد له خشبة الكراب والى الحداد الذي يزوده بحديد الكراب، ثم الى بقرة تجر الفدان.

الفارابي أذن يؤمن بالعمل الجماعي ، لان الفرد مهما تكن قابلياته ، فهو بحدود عقلية وجسمية أن الفرد مهما كانت قوته ، فهو يستطيع أن يقوم بعمل معين واحد ، وهو قادر أن يجيد الفعل الذي يحسنه ، من هذا المنطق ، يرى الفارابي أن تعاون الجماعة ضروري لتحقيق الخير للإنسان.

يستطيع الفارابي بفكرته العامة، أن الافعال والمكان الارادية لا يمكن أن يبلغ بها الغرض ، دون أن تتوزع انواعها في جماعة عظيمة ، اما واحد واحد في جماعة صغيرة تعيش متجاورة في مساكن متقاربة ويشبه تعاونها بتعاون اعضاء الانسان التي فيها يكمل تحقيق الهدف بجملة أعضاء البدن، بعد ذلك ينطلق الفارابي بنظريته القائلة أن من الجماعات تتكون جماعة المدينة ، ثم من مجتمعات المدن يكون مجتمع الامة، ومن مجتمعات الامم يكون المجتمع الإنساني.

يعد الفارابي عمل رئيس الدولة مهنة ، ثم يقول انه ليس المهم ما يطلق عليها من اسماء مثل الملك أو الحاكم أو الرئيس . المهم أنها مهنة ملكية وأن السياسة هي فعل هذه المهنة ، وذلك أن تفعل الأفعال التي بها تمكن تلك السير وتلك المكان في المدينة والامة وتحفظ عليهم.

يبقى الفارابي عند فكرته في توزيع المجتمعات الى مجتمع مدينة أو مجتمع امة أو مجتمع امم (المجتمع الانساني) ، وان الرئاسة الفاضلة ، هي تحفظ الافعال الخيرة والملكات ، سواء أكان ذلك في المدينة أم الامة ، وتجتهد تلك الرئاسة في حفظها عليهم حتى لا تزول ولا تبيد . أن شروط تلك الرئاسة ، تكون بمهنة وصناعة وملكة وقوة.

يريد الفارابي من الشروط الرئاسية هذه أو الملكية ، أن يقول أن حاكم المدينة ينبغي أن يتميز بصفات طبيعية تميز الرئاسة، إضافة إلى جودة الممارسة وحسن الخبرة ليتمكن من رئاسة المدينة أو الأمة على احسن وجه.

يضيف أبو نصر ،أن المهنة الملكية تلتئم بمعرفة جميع الأفعال ، التي بها يأتي التمكين أولا والحفظ بعد ذلك ، أن هذه المهنة، التي تحقق السعادة القصوى للمجتمع، هي مهنة الرئاسة الفاضلة وان المهنة الملكية، التي بها هذه الرئاسة ، هي المهنة الملكية الفاضلة، كما ان السياسة الكائنة من هذه المهنة، هي السياسة الفاضلة . أن المدينة أو الأمة المنقادة لهذه السياسة هي المدينة الفاضلة والامة الفاضلة، كما أن الإنسان الذي هو جزء من هذه المدينة أو الأمة، هو الإنسان الفاضل.

أما المهنة الرئاسية أو الملكية ، التي لا يقصد بها أن ينال السعادة القصوى ، بل يكتفي بالحصول على الخيرات التي هي متاع هذه الحياة الدنيا ، فأنها ليست فاضلة ، بل تسمى رئاسة جاهلية وسياسة جاهلية ومهنية جاهلية ، كما أن المدينة أو الأمة المنقادة لما للرئاسة الجاهلية من أفعال وملكات تسمى المدينة أو الأمة الجاهلية والإنسان الذي.هو جزء من هذه المدينة يسمى انسان جاهلي.

للفارابي رأي طريف في هذا الشأن با لا بأس من ذكره . بعد أن يقرر الفارابي ، أن الانسان الفاضل هو جزء من مجتمع المدينة الفاضلة بارادته ، وهو ساكن في مدينة جاهلية من دون ارادته. ولهذا ينصح الفارابي الرجال الافاضل ، الذين دفعوا الى سكنى المدن الجاهلية لعدم المدينة الفاضلة فعليهم بالهجرة الى المدينة الفاضلة اذا اتفق وجودها في وقت ما.

يعتقد ابو نصر ، أن الرئاسة الفاضلة ضربان : رئاسة اولي ورئاسة تابعة للاولى. الرئاسة الاولى هي التي تمكن في المدينة أو الامة، الملكات والسير الفاضلة اولاً ، من غير أن تكون تلك فيهم قبل ذلك ، وتنقلهم مع ذلك من السير الجاهلية الى السير الفاضلة.

يقرر الفارابي أن الذي يقوم بهذه العملية الفاضلة هو الرئيس الاول ،

يخيل لي ، أن الفارابي يعني بالرئيس الاول، النبي أو مؤسس الدولة. السبب لان الفارابي يكرر القول بأن هذا ياتي بملكات وسير لم تكن فيهم من قبل ، بل اكثر من هذا فانه يقول أن الرئيس الاول هذا ، يرفعهم من السيرة الجاهلية الى السيرة الفاضلة .

اما الرئيس التابع للرئيس الاول ، فهو الرئيس المباشر والمقلد والمبشر بما جاء به الرئيس الأول ، وان رئاسة الثاني تقتفي في أفعالهما حذو الرئاسة الاولى، أن القائم بهذه الرئاسة يسمى رئيس السنّة وملك السنّة. ورئاسة هي الرئاسة السنية.

المهم في الامر ، أن الرئاسة الفاضلة الاولى ، تلتئم بمعرفة جميع الافعال التي بها يتاتي تمكين السير والملكات الفاضلة في المدن والامم، وحفظها عليهم ، وحياطتها وأحرازها عن أن يداخلها شيء من السير الجاهلية.

يشترط الفارابي بالرئيس الاول ، أن يتميز بقدرتي القوة والفعل ، أن القوة يحصل عليها من يمارس المهنة الملكية، من استيعابه معرفة الاشياء الكلية وبقدرته عليها، اضافة الى أن تكون معه قوة اخرى استفادها من طول التجربة والمشاهدة ما تساعده على تقدير الافعال في كميتها وكيفيتها وازماتها ، وسائر ما يمكن أن تقدر بها الافعال.

أن القوة الرئاسية التي يقتدر بها الانسان على استنباط الشرائط التي يقدر بها الافعال، بحسب ما يشاهد في جماعة جماعة أو مدينة مدينة أو طائفة طائفة أو واحد واحد، وبحسب كل عارض في مدينة أو امة أو في انسان واحد ، هي ما يعرف بالتعقل ، أن هذه القوة تصل بطول التجربة في الاشخاص ، اضافة الى معرفة كليات الصناعة واستفائها.

أن العلم المدني الذي هو جزء من الفلسفة ، يشتمل على جزئين ، جزء يشتمل على تعريف السعادة في الحقيقة ، وجزء على المظنون بها انها سعادة ،

أن العلم المدني اذن، غرضه إحصاء الأفعال والسير والأخلاق والشيم والملكات الارادية الكلية ، التي شأنها أن تكون في المدن والأمم ، ويميز الفاضل من غير الفاضل.

العلم المدني ايضاً، يحصي اصناف المهن الرئاسية غير الفاضلة، ويعطي رسوم الافعال التي تفعلها كل واحدة من تلك المهن الرئاسية ، حتى ينال بها غرضها من اهل المدن التي تحت رئاستها ، ويبين أن تلك الافعال والسير والملكات التي هي غير فاضلة، هي امراض المدن الفاضلة ، وسيرها وسياساتها، امراض المهنة الملكية الفاضلة ، واما الافعال والسير والملكات التي في المدن غير الفاضلة ، فهي امراض المدن الفاضلة.

أن الشي المهم، الذي يذهب اليه الفارابي ، أن المهنة الملكية (الرئاسية) الفاضلة الاولى ، لا يمكن أن تكون افعالها عنها على التمام لا بمعرفة كليات هذه الصناعة، بأن تقرن اليها الفلسفة النظرية ، وان يضاف اليها التعقل ، وهو القوة الحاصلة عن التجربة الكائنة بطول مزاولة افعال الصناعة ، في الجماعات والمدن والامم وبهذا تلتئم المهنة الملكية الفاضلة .

أما الرئاسات التابعة لها ، فانها لا تحتاج الى الفلسفة ، بل أن رؤساءها يتبعون ويقلدون الرئيس الاول ، في هذه الحالة ، فأن اولاد الملوك الذين يتوقع منهم أن يكونوا ملوكاً ، يتربون ويؤدبون على مثال حال الرئيس الاول حتى يصير الواحد منهم ملكاً على التمام.

أما الملوك الذين رئاستهم جاهلية ، ففي رأي الفارابي، أن هؤلاء لا يحتاجون الى كليات هذه الصناعة ولا الى الفلسفة ، أن كل واحد من هؤلاء الرؤساء يصير الى غرضه بالقوة التجريبية ، التي تحصل له في جنس الافعال التي ينال بها مقصوده ، ويصل بها الى غرضه اما بتجربته هو أو بتجربة غيره من المشاركين له في مقصده ، وجمع اليها ما جربه هو عن امور استنبطها هو

بقريحته ودهائه ، عن الاصول التي حصلت له بالتجربة.

أن العلم المدني بعد ذلك، يعرف مراتب الاشياء التي في العالم ، أي مراتب الموجودات كلها، يبتدىء أن الاشياء البسيطة المتاخرة ، التي تخدم ولا ترؤس . يرتقي بعدها الى الاشياء التي ترؤس هذه، ومع ذلك فهي ليست تامة الرئاسة . ثم يرتقي الى رئاسات تستغني عن أن ترؤسها غيرها. ما يزال يرتقي في انواع الرئاسات، من اشياء في مراتب سفلى الى اشياء في مراتب عليا، اتم رئاسة والتي دونها ، وهكذا يرتقي من الاكمل . فالاكمل من الموجودات ، حتى ينتهي الى رتبة لا يمكن أن يكون فيها الا موجود واحد في العدد ، وواحد في كل وجوه الوحدة، ولا يمكن أن تكون فوقها رئاسة ، بل يكون الرئيس الذي في تلك الرتبة ، يدبر ما دونه . انه يرؤس كل ما دونه، لا نه نقص فيه، ولان لا كمال اتم من كماله ولا وجوده افضل من وجوده.

كل المراتب اذن ، دون الرئيس الاول ، تخدم بافعالها الرئيس الاول ، انها تأتلف وترتبط بعضها ببعض ، حتى تكون كشيء واحد ، لقوة تدبير ذلك الواحد لها ونفاذه في جميعها ، على قدر مرتبته وبحسب ما يلزم أن يكون عليه من الرتبة في الوجود .

يأخذ نظائر هذه في القوى النفسانية الانسانية ، ثم نظائر هذه في اعضاء بدن الانسان ثم نظائرها في المدينة الفاضلة ، فيجعل منزلة الملك أو الرئيس الاول فيها في منزلة الاله، الذي هو المدبر الأول للموجودات والعالم واصناف ما فيه.

يحاول الفارابي أن يرتقي بتعريف وساسية الملة ، ادنى المخلوقات، ثم يرتقي الى الافراد الذين يخدمون بأفعالهم فقط ولا يرؤسون ، ثم الى رتبة مدبر مدير ملك المدينة الفاضلة والرئيس الاول من الروحانيين . لا شك انه يقصد بالرئيس الاول الروحاني انه النبي ، وذلك لان ابا نصر يضيف بتعريفه قائلاً : انه

الذي جعل الروح الامين ، وهو الذي به يوحي الله تعالى الى الرئيس الاول للمدينة.

مازال الفارابي يطالب بالارتقاء، الى أن ينتهي الى الاله جل ثناؤه ، وكيفية نزول الوحي من عنده الى الرئيس الاول (النبي) ، فيدير الرئيس الاول المدينة أو الامة أو الامم ، بما ياتي به الوحي من الله تعالى فينفذ التدبير من الرئيس الاول الى كل قسم من اقسام المدينة.

يذهب الفارابي اكثر من ذلك ، فيقول أن الله تعالى هو المدبر ايضاً للمدينة الفاضلة كما هو المدبر للعالم . أن تدبير الله تعالى للعالم بوجه وتدبيره للمدينة الفاضلة بوجه آخر غير أن بين التدبيرين تناسب، وبين اجزاء العالم واجزاء المدينة أو الامة الفاضلة تناسب.

الفارابي يلحق بالتأكيد على الزوم الائتلاف والارتباط والانتظام والتعاضد بالافعال، بين اجزاء الامة الفاضلة . يذهب ابو نصر في القول، كما أن مدبر العالم جعل في اجزاء العالم هيئات طبيعية، بها إئتلفت وانتظمت وارتبطت وتعاضدت بالافعال ، حتى صارت على كثرتها وكثرة افعالها كشيء واحد ، يفعل.

فعلاً واحداً لغرض واحد ، وكذلك يلزم مدير الآمة أن يجعل ويرسم في نفوس اقسام الامة والمدينة، هيئات وملكات ارادية تحملهم على ذلك الائتلاف والارتباط بعضها ببعض، والتعاضد بالافعال ، حتى تصير الامة أو الامم على كثرة اقسامها واختلاف مراتبها وكثرة افعالها كشي واحد ، يفعل فعلاً واحداً ، ينال به غرضاً واحداً.

الفارابي ما يفتا ينصح مدير المدينة أو الامة الفاضلة ، بان يتاس الله ويقتفي آثار مدير العالم الذي دير امور الموجدات ، حتى تمت الخيرات الطبيعية في كل واحد من اصناف العوالم بحسب ، رتبته ، فأن على مدير المدينة ، أن لا يكتفي برسم الهيئات والملكات الفاضلة ، بل يحافظ على دوام الفضائل والخيرات

التي ركزها فيهم منذ اول الامر.

أن الفارابي يلزم رئيس المدينة الفاضلة على تعلم الفلسفة النظرية ، لانه لا يمكن أن يقف على مما في العالم من تدبير الله تعالى الا بالفلسفة ، أن على مدير المدينة الفاضلة ، أن يدير امور الصناعات والملكات الادارية حتى تتم الخيرات الإدارية ، في كل واحدة من المدن والامم، يتصل الى السعادة في هذه الحياة والحياة الاخرة.

نلاحظ مما سبق، أن الفارابي يمزق الاخلاق بالسياسة ، في الوقت نفسه، الذي يمزج بين الدين والفلسفة، في معالجته لشؤون المدينة السياسية والاخلاقية.

الفارابي يصبو الى ان تكون مدينة، مدينة فاضلة سواء اكانت مدينة يقطنها جماعة من الناس ، أو امة تتالف من عدة مدن ، أو مجتمع المعمورة ، الذي هو المجتمع الانساني ، الذي يتالف من امم العالم كلها.

الفارابي يعطي رئيس المدينة اهمية كبيرة ، الى درجة أنه ينصح سكان المدينة أو الامة ، أن يخضعوا له ويتشبهوا به ، أبو نصر يمزج في شخصيته رئيس المدينة بين الفيلسوف والنبي ، انه بالاحرى ، يريد من رئيس المدينة، ان يجمع بين التأمل الفلسفي الذي يتميز به الفيلسوف، وبين النبي بما يمتلك من قوة قدسية ومخيلة ممتازة تتقبل الوحي.

المهم في هذا الشأن أن الفارابي كفيلسوف مسلم ، مخلص للفلسفة ومؤمن بالدين الإسلامي ، يرى أن الفلسفة والوحي مصدرهما الجود الالهي ، يسبغها الله على المميزين من عبادة الصالحين ، ابو نصر يقول صراحة ، أن الفيلسوف والنبي هما اولى الناس برئاسة المدينة الفاضلة . السبب لان كلاً منهما من منبع صاف اصيل ، ويهدف الى غاية سامية ، هي تحقيق السعادة والعدل للجماعة البشرية.

السياسة الفاضلة ، التي يطلبها الفارابي ، هي أن يحقق السائس لابناء المدينة ، ما يناله الانسان من الفضائل،في حياتهم الدنيوية والحياة الاخرة ، في الحياة الدنيا ، ينبغي أن تكون ابدانهم في اكمل الهيئات ، ونفوسهم في افضل الحالات مما يحقق لهم السعادة في الحياة الاخرة.

يكرر الفارابي في كتاباته السياسية ، أن مدير المدينة اشبه بالطيب أن الطبيب يعالج كل عضو معتل بحسب قياسه الى جملة البدن والى الاعضاء المجاورة له والمرتبطة به ، كذلك مدير المدينة ، فانه يدير امر كل فرد من الناس ويفيده بالقياس الى الأعضاء الآخرين في مجتمع المدينة ، والى جملة المدينة كبناء متكامل قائم بذاته.

أن الهدف الاساس اذن من مدبر المدينة، الذي هو الملك او الرئيس ، أن يحقق السعادة لاهل المدينة ، وفي الوقت نفسه ، أن يسعد نفسه ايضاً. يحبذ الفارابي أن يكون ملك المدينة الفاضلة اكملهم سعادة ليكون السبب في إسعاد اهل المدينة.

أن الرؤساء الذين يحققون الخيرات لاهل المدينة هم رؤساء كرامة وهم افضل رؤساء, أما الذين يسعون الى الكسب ليكونوا اهل يسار، أو الذين يعاملون أهل المدينة بالإرهاب والاذلال ، فهؤلاء اولى بأن يسموا اهل خساسة الرئاسة ، أما الذين يستبدون ويجعلون اهل المدينة اشبه بالالات ، وينفردون باليسار والكرامة واللذات ، دون ابناء المدينة ، فلا يستحقون أن يسموا ملوكاً .

من الملاحظ انه ليس هناك طبقية في فكر الفارابي ما في نظرته لابناء المدينة . انه ينظر الى المجتمع نظرة ادارية ، حين يقول أن هناك رئيساً يراس ولا يرؤس ، وهو لا شك رئيس المدينة. هناك الادرايون الذين يساعدون الملك في الادارة المدينة ، فهم يرأسون العامة ويراسهم رئيس المدينة وهناك العامة منهم مرؤوسون ولا يراسون احداً.

اما من ناحية القدرات العقلية والادارية فأن ابا نصر يقول أن المدينة الفاضلة اجزاؤها خمسة : الأفاضل وذوو الالسنة والمقدرون والمجاهدون والماليون .

الأفاضل : هم الحكماء والمتعقلون وذوو الاراء في الأمور العظام . ثم حملة الدين وذوو الالسنة : وهم الخطباء والبلغاء والشعراء والملحنون والكتاب ومن يجري مجراهم وكان في عدادهم، المقدرون: هم الحساب والمهندسون والاطباء والمنجمون ومن يجري مجراهم المجاهدون : هم المقاتلة والحفظة ومن جرى مجراهم ، الماليون : وهم مكتسبو الاموال مثل الفلاحين والرعاة والباعة ومن جرى مجراهم.

الفارابي بالحقيقة ، يعطي صورة عملية لمجلس شورى رئاسي يستطيع التنفيذ ، اوربما أن المجلس الذي يقترحه اشبه بمجلس وزراء معاصر . بعد أن يذكر الفارابي صفات الرئيس الاول أو الملك في الحقيقة، يقول بعد ذلك أن ليس كل انسان تجتمع فيه صفات الرئيس الاول لا بأس . أن يشارك في الحكم جماعة تقوم مقام الملك ويسمعون الرؤساء الاخيار، ورئاستهم تسمى رئاسة الافاضل.

من ضربات الفارابي العبقرية ، حين يقول أن السائس الفاضل الرئيس الاول ، لا يستطيع أن يغرس في ابناء المدينة كل ما يملك من فضائل. انه يبلغهم الغرض الاسمى ، وكل واحد ياخذ بمقدار ما هو اهل له أو بقدر عليه فيتمثل من اجل المنفعة واكتساب الفضيلة ، الفارابي يشبه السائس بالطبيب ، حين يقول أن الطبيب الفاضل ليس عليه أن يبلغ الابد أن الى اكمل منازلة الصحة واعلى درجاتها ما بل حسبه أن يبلغ بها من الصحة الى اكثر ما يمكن من طبعها وجوهرها وبحسب افعال النفس .

يؤمن الفارابي بالتخصص الدقيق ، حين يشير أن على كل واحد من ابناء المدينة الفاضلة ، أن يفوض اليه صناعة واحدة ، وعمل واحد يقوم به، ابو نصر

يعزو ذلك الى ثلاثة أسباب . السبب الاول أنه لا يتفق أن يكون كل انسان يصلح لكل عمل وكل صناعة ، لان كل انسان يصلح لعلم معين دون عمل آخر . السبب الثاني ، أن الانسان الذي يتجه الى صناعة معينة ، وينفرد فيها دون أن يتشاغل باعمال اخرى، فأنه سيجود في صناعته ، ويكون افضل واحد في عمله . السبب الثالث، أن كثيراً من الاعمال ينبغي أن تنجز في وقت معين لانها اذا تاخرت فانت وقد يتفق أن يكون عملان وقتهما واحد بعينه ، فأن تشاغل باحدهما فاته الآخر ، لذلك ينبغي أن ينفذ انسان واحد لكل عمل من العملين ، فينجزان في الوقت المحدد وعلى الصورة المبتغاة.

يخيل للذي يدرس فكر الفارابي السياسي يتصور لأول وهلة ، أن الفارابي يحاول أن يقيم مدينته الفاضلة، على اسس مثالية، غير ان الدارس لفلسفة الفارابي بتأن وامعان، سرعان ما يكتشف أن الفارابي ، يضع النظريات ويرسم الخطوط لبناء المدينة ، وكأنه عالم اجتماع متعمق متمرس.

استطيع القول ، أنه يجمع بين النظرية الفلسفية وبين واقع الحال ، مما يراه في المجتمع الإسلامي الذي يعيش في ظله ، ويتعامل مع احداثه ، الفارابي – مثلاً– يرى أن السعادة تحصل لاهل المدن والامم في الحياة الدنيا والاخرى، اذا اتوفرت اربعة اجناس من الفضائل : الفضائل النظرية والفضائل الفكرية والفضائل الخلقية والصناعات العملية.

أما الفضائل النظرية ، فهي العلوم التي الغرض الاقصى منها أن تحصل الموجودات، وهذه العلوم منها ما يحصل للانسان منذ أول امره من حيث لا يشعر ولا يدري كيف ومن اين حصلت وهي العلوم الاول، ومنها ما يحصل بتامل وعن فحص واستنباط وتعلم وتعليم . أن الاشياء المعلومة بالعلوم الاول هي المقدمات الاول، ثم يصار منها الى العلوم التي تحصل عن فحص واستنباط وتعلم وتعليم.

الفضيلة الفكرية وهي التي تستنبط ما هو انفع في غاية ما فاضله.

والفضيلة الفكرية . منها ما هو يقتدر به على جودة الاستنباط لما هو انفع في غاية فاضلة مشتركة لامم أو لامة أو لمدينة ، عند وارد مشترك ، فلا فرق بين أن يقال انفع في غاية فاضلة وبين أن يقال انفع في غاية ما فاضلة ، هو الاجمل في تلك الغاية.

اما الفضيلة الخلقية ، فهي نتيجة للفضيلة النظرية ومستنبطة من الفضيلة الفكرية الفضيلة النظرية أذن سابقة للفضيلة الخلقية ، وان الفضيلة النظرية هي التي صيرت الفضيلة الخلقية معقولة ، بعد أن تميزها الفضيلة الفكرية ، وتستنبط اغراضها التي تصير معقولاتها موجودة باقتران تلك الأعراض بها ، فالفضيلة الفكرية اذن سابقة للفضائل الخلقية.

أما الفضائل العملية والصناعات العملية ، فأن افعالها تكون بطريقتين : احدهما بالاقاويل الاقناعية والاقاويل الانفعالية وسائر الاقاويل التي تمكن في النفس هذه الافعال والملكات تمكيناً تاماً، حتى يصير نهوض عزائمهم نحو افعالها طوعاً، الطريقة الثانية هو طريق الاكراه ، وهذا يستعمل مع المتمردين والعاصيين من اهل المدن والامم الذين لا ينهضون للصواب طوعاً من تلقاء انفسهم.

يتبين لنا بوضوح ، أن مدينة الفارابي الفاضلة ، ليست فاضلة بسيرة اهلها وسلوكهم فحسب ، بل أن الفارابي ارادها أن تكون فاضلة بارائها ، من هنا يظهر لنا بوضوح عنوان اهم كتاب سياسي للفارابي ، الذي اطلق عليه اسم (اراء اهل المدينة الفاضلة). ولم يقصر عنوان الكتاب على (اهل المدينة الفاضلة) أو (المدينة الفاضلة) .

الفارابي اذن لا يكتفي بان يكون سكان المدينة الفاضلة افاضل بافعالهم ، بل أن الاراء الفكرية العالية التي تميز اهل المدينة الفاضلة هي التي تنحو مدارج الكمال ، وهي التي تحقق لهم السعادة في الحياة الدينا والحياة الاخرة.

ومع هذا وذاك ، فان الفارابي ينصح الانسان أن يتآمل أحوال الناس

واعمالهم وتصرفاتهم ، ما شهدها وما غاب عنه مما سمعه وتناهي اليه منها ، وان يمعن النظر فيها، ويميز بين محاسنها ومساوئها ، وبين النافع والضار منها.

فيلسوفنا أذن يريد أن يمزج مزجاً متناغماً بين الفكر والعمل ، انه يطالب من اهل المدينة الفاضلة أن يتثقفوا بالمعارف والعلوم حتى انه يطلب منهم أن يرتقوا الى مطاف الفلاسفة ، وانه في الوقت نفسه ، يريد منهم أن يكونوا عمليين في مراقبة سيرة الناس العملية ، ليقتدوا بالاعمال الحسنة ويتجنبوا الافعال الضارة السيئة.

الفارابي اذن ، في مدينته الفاضلة ، ليس فيلسوفاً مثالياً في قدسية الالهيات وسبر غور الوجود، بل هو يهتم اهتماماً خاصاً باحوال الناس، وارشادهم الى الطريق القويم ، من اجل الحصول على الخيرات وادراك سبل السعادة.

من اقوال الفارابي ، التي لابأس أن اقف عند احدى مقولاته متأملاً متفحصاً معلقاً ، يقول الفارابي ((حرم على الفاضلة من الناس ، المقام في السياسات الفاسدة ، ووجب عليه الهجرة الى المدن الفاضلة)).

يبدو لي أن الفارابي قال مقولته هذه، من تجربته الشخصية . الفارابي ولد في مدينة فاراب ، ودرس وتعلم وكتب كتبه واشتهر امره في بغداد ، اقام بقية حياته في حلب ، زار القاهرة ثم توفي ودفن في مدينة دمشق.

لاشك أن الفارابي ، وهو الذي توفي في اواسط النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (٣٣٩هـ) قد عاصر تدهور وانحطاط وتفكك المدن الاسلامية أنه عاش في زمن زوال ازدهار الخلافة العربية.

الفارابي ربما كتب هذه المقولة ، وهو يقصد بها سيرته الشخصية ، حين لاحظ السياسات الفاسدة في بغداد مركز الخلافة قصد حلب ، التي كان اميرها وحاكمها سيف الدين الحاني ، الذي اشتهر امره ، في مقارعة الروم

وانتصاره عليهم ، وربما أن الفارابي قد عدّ سيف الدولة الحمداني هو رئيس حقيقي للمدينة الفاضلة.

برأيي ، انه ما كان للفارابي أن ينطق بهذه المقولة ، التي تحث الناس على الهرب من اوطانهم ، اذا صارت (السياسات فاسدة) في مدينة ، فهل من الصواب في شيء أن يهجر اهلها وثم الانتقال الى مدينة فاضلة.

اليس الاولى بالفارابي ، الذي اشتهر كرئيس مدرسة فلسفية في بغداد ، أن ينبه الناس علناً. على عوامل (السياسات الفاسدة) والعمل على إصلاحها. بدلاً من الذهاب الى مدينة اخرى (حلب) والانزواء في بستان ، لغرض التأمل والقراءة والكتابة.

لاشك أن الفارابي لا يفصل بين الأخلاق والسياسة كما انه كان لا يفصل بين بسعادة الفرد وسعادة المجتمع . الفارابي يعتقد أن الأخلاق تنبه الى سبيل السعادة كما أن تحصيل السعادة لا يتم للفرد الا بالاجتماع مع الآخرين في مجتمع سواء أكان هذا المجتمع مجتمع المدينة ام مجتمع أمة أم مجتمع الأمم.

ولاباس أن اقول هنا ، أن الفارابي لم يكتف بتعريف مجتمع المدينة وأسسه وطرق السعادة اليه ، بل هو قد تجاوزة الى مجتمع الامة . لعل السبب في ذلك ، انه تاثر بالدولة الاسلامية ، المترامية الاطراف، أنه عد الامة في مرحلة اكبر من مجتمع المدينة، وهو لاشك يقصد هنا الامة الاسلامية ، انه يعد ذلك يتعدى حدود مجتمع الامة، الى مجتمع الانسانية كلها تحت حكم رئيس فاضل واحد.

لم ينظر ابو نصر الى اهل المدينة أو الامة ، من وجهة نظر عراقية أو عنصرية ، بل هو يعطي الاهمية الكبرى للقدرات العقلية ، انه يضع في قمة المجتمع ، الفئة أو الجماعة القادرة على التعقل والتخيل . بعد هذه الشريحة أو ادنى منها ، يضع الجماعة التي تستطيع أن تتبع ما رسم لها وتحتذي به احتذاءً

عقلياً . أما الفئة التي يصنعها الفارابي في المرتبة الدنيا ، هي الجماعة التي تنقاد انقياداً اعمى لكل ما تتلقاه من اعلى ، القدرة العقلية اذن هي المعول عليها في ترتيب أو تفاضل الناس في المدينة ، لان آراء اهل المدينة هي التي تميزهم عن بعضهم .

من هنا نجد أن الفارابي يضع الفلاسفة في قمة الهرم الاجتماعي. يأتي بعدهم المشرعون وحملة الدين ، ثم يأتي بعد ذلك العامة التي تتبع ما رسم لها . المهم هنا ، أن الفارابي ، يضع ثلاث فئات ولا اقول طبقات. طبقة الحكام الذين هم الفلاسفة ، أما الفئة الثانية ، التي استطيع أن اقول انهم تمثل الطبقة الوسطى في المجتمع التي تتكون من المتكلمين والبلغاء والماليين والمجاهدين ثم طبقة العامة التي تمثل عامة الجمهور.

ارجو الا يفهم، أن الفارابي يقسم المجتمع تقسيماً طبقياً جامداً ، الفارابي بالحقيقة ينشد المساواة بحركة اجتماعية ، اساسها القوة العقلية ، أنه لا يفصل الجمهور عن الحياة العقلية ، بل انه يقول انه ليس في فطرة كل انسان أن يعلم من تلقاء نفسه، بل انه يحتاج الى معلم ومرشد. انه اذن يدعو الى انفتاح اجتماعي، لان العلم غير موقوف على احد، وأن الانسان لا يعلم بالفطرة .

لاشك أن الدين الاسلامي يؤثر تاثيراً كبيراً ، في فكر الفارابي وان العقيدة لها دور في كتاباته السياسية والاخلاقية انه يرى أن الاجتماع ينبغي أن يتم حول رأي واحد، وليس بالقهر والتغالب، وحدة العقيدة اساس مهم في الترابط الاجتماعي ، العقيدة الواحدة اذن عنصر يتحكم في اجتماع الناس في المدينة والعقيدة في دور كبير في اراء اهل المدينة الفاضلة.

يبدو لي ، أن سبب رأي الفارابي والقول بأن وحدة الرأي لها اثر بالغ في بناء المدينة لانه كان يلاحظ فساد الأحوال ، في المدن التي عاش فيها أو التي تنقل اليها ولا سيما بغداد عاصمة الخلافة التي لم يبق لها أي اثر سياسي على

الدولة الكبيرة، بسبب ما يراه من ضعف وتفكك . السبب الامم الذي كان يراه الفارابي في سوء الاحوال، هو اختلاف الاراء وشدة الخلاف والفوضى السائدة في المجتمع الإسلامي.

الفارابي بعقيدة المسلم وفكر الفيلسوف ، اراد أن يصلح المفاهيم المختلفة، ويجمع اهل المدينة حول آراء صائبة، في توحيد السلطة الدينية والسلطة الدنيوية، انه كان يهدف الى توحيد الآراء بين عقيدة الدين وفكر الفلسفة. أنه بكلمة اخرى، كان يريد أن يحكم المدينة، من يتحلة بمزيج من حكمة الفيلسوف ورسالة النبي.

لاشك ان الفارابي ، كان يلاحظ مدى سوء الاحوال السياسية في الدول الاسلامية . انه كان يخطط لمجتمع عادل ، ولكنه كان يدرك مدى الصعوبة بين الامنية والواقع لهذا اعتقد أن الفلسفة قادرة أن تقضي على الجهل لتنظيم مدينة فاضلة يسودها العدل وتتحقق فيها السعادة.

لقد اجتهد الفارابي ، لتحقيق هذا الهدف، أن تكون الفلسفة هي المنظمة لتحقيق مدينة فاضلة على أن تحل فيها قدسية مدبر الكون ، انه بالحقيقة اراد أن يدمج تنظيم المدينة بتعاليم الدين انه اراد أن يوصل بين الدنيا (الفلسفة) والدين (النبوة) بعبارة اخرى يريد الفارابي من اهل المدينة الفاضلة أن يتقربوا من الله، كونهم خلفاءه على الارض، في الوقت نفسه، يريد أن يجمع رئيس المدينة الفاضلة ، معرفة الفيلسوف وقدسية النبي ، كي يحقق العدل والسعادة.

المصادر :

١- الفارابي : اراء اهل المدينة الفاضلة، القاهرة.

٢- الفارابي : احصاء العلوم ، تحقيق عثمان امين ، القاهرة ١٩٣١.

٣- الفارابي : تحصيل السعادة ، حيدر اباد الدكن ١٣٤٥هـ .

٤- الفارابي : التنبيه على سبيل السعادة ، حيدر اباد الدكان ١٣٤٦ .

٥- الفارابي : الدعاوي القبلية ، حيدر اباد الدكن ١٣٤٩هـ .

٦- الفارابي : رسالة في السياسة (مقالات فلسفية قديمة) بيروت ١٩١١ .

٧- الفارابي : السياسة المدنية ، تحقيق فوزي النجار بيروت ١٩٦٤ .

٨- الفارابي : عيون المسائل ، ليدن ١٨٩٠

٩- الفارابي : فصول المدني تحقيق دنلوب – كمبردج ١٩٦١.

١٠- الفارابي : فلسفة افلاطون ، تحقيق روزنثال لندن ١٩٤٣.

١١- الفارابي : كتاب الفصوص ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥هـ.

١٢- الفارابي : كتاب الملة ، تحقيق محسن مهدي بيروت ١٩٦٨.

١٣- الفارابي : مقالة في معاني العقل (الثمرة المرضية) ليدن ١٨٩٠ .

١٤- الفارابي : كتاب الحروف بيروت ١٩٧٠.

١٥- الفارابي : كتاب الجمع بين الحكمين بيروت ١٩٦٨ .

١٦- الفارابي : كتاب الالفاظ المستعملة في المنطق .

١٧- الفارابي : كتاب التعليقات بيروت ١٩٩٨ بيروت ١٩٦٨ .

١٨- عبد السلام بن علي العالي : الفلسفة السياسية عند الفارابي ، بيروت ١٩٧٦.